مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية

المجلد (12) العدد (01) السنة (2025)
الصفحة 242-253

كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني (رحلتي المقري ويحي النائلي خلال القرن 17م أنموذجا)

Writing the history of Algeria during the Ottoman era (the journeys of Al-Maqri and Yahya Al-Naeli during the 17th century AD as a model)

واضح أبوبكر[1*]، بن شرقي حليلي[2]

[1] مخبر تاريخ الانسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف، جامعة الشلف (الجزائر)،
ab.ouadah@univ-chlef.dz

[2] مخبر تاريخ الانسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف، جامعة الشلف (الجزائر)،
b.helili@univ-chlef.dz

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2024/11/17
تاريخ القبول:2025/03/30

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص: يهدف هذا المقال إلى إبراز أهمية المصادر المحلية الجزائرية في كتابة وتدوين تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية من خلال رحلات علماء الجزائر إلى المغرب والمشرق العربي خاصة في القرن (11هـ/17م)، ومدى إسهامها في تسليط الضوء على جانب من جوانب تاريخ الجزائر الثقافي في الفترة الحديثة وتنشيط الحركة العلمية والتواصل الثقافي بين إيالة الجزائر والبلدان العربية؛ وكنماذج من تلك الرحلات اخترت رحلتي "أبي العباس أحمد المقرّي" و"أبي زكرياء الشاوي يحيى النائلي" خلال القرن 11 هـ/17م.

الكلمات المفتاحية: المصادر المحلية الجزائرية، الرحلة، العهد العثماني، القرن 17م، أحمد المقري، الشاوي يحيى.

ABSTRACT

This article aims to highlight the importance of Algerian local sources in writing and recording the history of Algeria during the Ottoman period through the travels of Algerian scholars to the Maghreb and the Arab Mashreq, especially in the 11th century AH / 17 AD, and the extent to which they contribute to shedding light on an aspect of Algeria's cultural history in the modern period and activating the scientific movement and cultural communication between the Eyalet of Algeria and the Arab countries. 11 AH / 17 AD.

Keywords: Algerian local sources, The journey, Ottoman era, 17th century, Ahmed al-Maqri, Chaoui Yahya.

1. مقدمة:

* المؤلف المرسل

تعتبر الرحلات الجزائرية خلال العهد العثماني من بين المصادر المحلية الأساسية في كتابة وتدوين تاريخ الجزائر، فهي السجل الحقيقي لمختلف مظاهر الحياة، والمرآة العاكسة للواقع السياسي والاجتماعي، وهي عنصر مهم في تعزيز لغة التواصل بين الشعوب العربية والإسلامية. حيث تنوعت هذه الرحلات بتنوع أهدافها ومقاصدها، فمنها الرحلات الحجازية المرتبطة بأداء فريضة الحج، والرحلات العلمية المرتبطة أساسا بطلب العلم والالتقاء بالعلماء... ومن خلال هذه الرحلات يمكن تكوين فكرة واضحة وصورة دقيقة لتاريخ أي إقليم أو مدينة، واكتشاف مواطن الإنسان وتجمعاته، وهذا لاشتمالها على الوصف تارة، وعلى سرد الواقع والأحداث تارة أخرى.

والرحلات هي جمع كلمة "رحلة"، وتعني حركة انتقال شخص أو أشخاص من مكان إلى مكان آخر، وورد هذا المعنى اللغوي للكلمة في معجم ابن فارس، يقال: "رحل" الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على المضي في السفر، ويقال: رحل يرحل رحلة والرحلة الارتحال (أبي الحسن، 1979، ص497). وكما تعتبر الرحلة كتابة يحكي فيها الرحالة أحداثا متعلقة بسفره وما شاهده وعايشه، وقد عرفها الإمام الغزالي أبي حامد (ت 505هـ/1111م) بأنها نوع من الحركة والمخالطة (الغزالي، 2005، ص713).

2. الرحلات الجزائرية خلال القرن 17م

1.2 رحلة الشيخ أبي العباس أحمد المقرّي:

1.1.2 التعريف بالرحالة:

1.1.1.2 نسبه ومولده:

هو أحمد بن مُحَمَّد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش (نويهض، 2015، ص487)، المكنى بأبي العباس، والملقب بشهاب الدين، ولد سنة 986هـ بمدينة تلمسان (المقري، نفح الطيب، 2008، ص34)، ويعود لقب المقرّي إلى جدّه محمّد المقرّي المولود في قرية مقرّى من قرى الزاب، والتي انتقل منها إلى تلمسان (المقري، 1939، ص5)، ويعد من أشهر أعلام الجزائر في عصره، فهو الأديب المؤرخ الحافظ المتقن الرحالة الموسوعي (نويهض، 2015، ص482).

2.1.1.2 شيوخه والعلوم التي طلبها:

تلقى أحمد المقري تعليمه على يد عمه المقري سعيد (ت 1025هـ/ 1615م)، وهو من أشهر علماء تلمسان وفقهائها، تولى الفتوى بها، وخطب بمسجدها الأعظم خمسة وأربعين سنة (ابن مريم، 1908، 104)، حفظ القرآن الكريم ودرس علوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير وعلوم اللغة والأدب والبلاغة، درس على يد العديد من علماء تلمسان (الأزهري، 1324هـ، ص29)، ولعل لهذا الأمر أثر كبير في تحصيله العلمي وتكوينه الرّزين.

3.1.1.2 منيّته:

توفي العلامة الشيخ المقري أحمد بن مُحَمَّد بالقاهرة في جمادى الآخرة، ودفن بمقبرة المجاورين (المحبي، دس، ص302)، وقد أورد المحبي صاحب خلاصة الأثر بأن وفاته كانت بالقاهرة في جمادى الثانية من 1041هـ/1634م (نويهض، 2015، ص489).

4.1.1.2 تآليفه:

ترك لنا العالم الفقيه المقري أحمد مجموعة متنوعة من المؤلفات، والتي اشتملت على مختلف العلوم من كتب في التاريخ والتراجم والتوحيد والفقه والسيرة النبوية، وفي مختلف المواضيع، ومن أهمها نذكر:

كتاب "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، وكتاب "روضة الآس عاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس"، وكتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، وذكر فيه وزيرها لسان الدين الخطيب (المقري، نفح الطيب، 2008، ص15)، وكتاب "شرح مقدمة ابن خلدون"، وكتاب "إضاءة النخبة في عقائد أهل السنة" في التوحيد (حجي، 1964، ص111)، وكتاب "فتح المتعال في مدح النعال" في السيرة (الكتاني، 1982، ص572)، وكتاب "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق" (المقري، 2004، ص9).

كما كانت له العديد من التآليف المفقودة أبرزها: كتاب " حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي"، وكتاب " روضة التعليم"، وكتاب "الغث والسمين والرث والثمين" (سعيدوني، 1998، ص327)، وقد تكشف لنا الأيام القادمة مخطوطات وتآليف لم تحقق بعد.

2.1.2 التعريف بكتاب الرحلة:

سمي هذا الكتاب بـ " رحلة المقري إلى المغرب والمشرق"، وقام بتحقيقه الدكتور بن معمر مُحَمَّد، ويعد مخطوط في نسخة واحدة متواجدة بالمكتبة الوطنية تحت رقم 3191، وهو مسجل ضمن قائمة المخطوطات التي وضعها جورج ديلفان* (G. DELPHIN) ، ويعتبر من أهم الكتب التي صدرت مؤخرا سنة 2004؛ حيث سجل به رحلته إلى المغرب والمشرق، وما تضمنته الحياة الأدبية والثقافية في عصره (الشوايكة، 2007، ص32)، ويمكن تقسيم الرحلة إلى قسمين:

1.2.1.2 القسم الأول: ضم نشاط المقر الفكري في المغرب الأقصى أثناء تواجده فيه، ونزوله بمدن الجزائر ثم تونس وسوسة ولقائه بعلمائها.

1.2.1.2 القسم الثاني: ضم نشاطه الفكري والعلمي ببلاد المشرق: مصر، وبلاد الحجاز؛ مكة والمدينة المنورة، دمشق والقدس (غويني، 2009، ص71).

3.1.2 المحتوى العام لرحلة المقري إلى المغرب والمشرق:

* جورج ديلفان: هو مستشرق فرنسي، تخرج من جامعة باريس، انتدب للعمل في الجزائر 1981، وشغل منصب مدير بمدرسة وهران، يعتبر من المهتمين بتاريخ الجزائر الشعبي والأدبي، له عدة مؤلفات منها: تاريخ الباشاوات العثمانيين في الجزائر من سنة 1515 إلى 1745، توفي سنة 1919.

يعتبر كتاب " رحلة المقري إلى المغرب والمشرق" من أهم الكتب التي ألفها العالم الفقيه المقري أحمد بن مُحَمَّد حيث سجل بها كل ما شاهده، ووقف عليه، فيما يخص الحياة الأدبية والثقافية في عصره، وقد ذكر في هذا الكتاب أنه بعد مغادرته لفاس سنة 1027هـ، نزل بمدينة الجزائر وتونس وسوسة واتصل بعلماء تلك المدن، ومن أبرز هؤلاء العلماء " مُحَمَّد سعيد قدورة" (ت 1066هـ)، وهو عالم ومفتي وفقيه مدينة الجزائر (المقري، 2004، ص ص 10-11)، ثم توجه في السنة نفسها إلى بلاد الحجاز قاصدا أداء فريضة الحج، بعودته استقر بمصر لأول مرة سنة 1028هـ/1619م، حيث أعجب بها، لا سيما ساحل الإسكندرية (المقري، نفح الطيب، 2008، ص26)، ثم توجه إلى القاهرة حيث الجامع الأزهر وجلس برواق المغاربة فالتف حوله طلبة العلم يملي عليهم الحديث ويلقنهم العقائد (الكتاني، 1982، ص13)، وفي سنة 1037هـ/1628م انتقل إلى بلاد المشرق؛ درس بالمسجد الأقصى، وأدى فريضة الحج، وانتقل إلى دمشق وبقي فيها أربعين يوما، فلقي الإقبال والترحيب، وألقى دروسه بالجامع الأموي في العقائد والحديث (سعيدوني، 1998، ص ص328-329)، ثم عاد إلى مصر في نفس السنة، وظل ملازما للتدريس بالأزهر مستجمعا لأفكاره ومعلوماته (سعد الله، 2011، ص104)، وبقي على اتصال دائم بأصدقائه وشيوخه وطلبته بالشام والجزائر والمغرب والحجاز؛ من خلال تبادل الرسائل الإخوانية الودية والعلمية (قريزة، 2021-2022، ص84)، ومن هنا يتبين لنا أن معارف أحمد المقري وعلاقاته كانت في غالبها علمية دراسية.

ومن أبرز تلك الرسائل الإخوانية رسالته لشيخه مُحَمَّد بن أبي بكر الدلائي؛ الذي لم ينسه رغم غربته؛ والتي ضمنها شكواه من الدهر، وما بلغه فيها نشاطه العلمي، ومما ألّف بالحضرة فتح المتعال في مدح النعال، وأزهار الكمامة في أخبار العمامة، كل منهما مجلد كبير، منه عنبر وعبير (القادري، 1982، ص267).

كما ذكر أيضا في هذه الرحلة أهم المشايخ والعلماء الذين أخذ عنهم العلم؛ سواء بالمغرب أو المشرق العربي؛ أمثال الشيخ أبي الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي (ت 1018هـ/1609م) مفتي وقاضي في عهد المنصور (حسن، دس، ص107)، وبالمشرق ذكر لنا أبا الإرشاد نور الدين علي بن زين الدين العابدين بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن الأجهوري الفقيه المالكي والمدرس بالجامع الصغير بدمشق (قريزة، 2021-2022، ص78)، وكذا عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي المناوي بمصر (ت 1031هـ) (الكتاني، 1982، ص560).

كما ضمنه أيضا مدحه بالقصائد للحكام والوزراء، ومنها مدحه لمصطفى باشا حاكم مصر سنة 1029هـ/1619م في قصيدتين (المقري، 2004، ص107)، ومن هنا تتجلى لنا موهبته في الشعر من خلال كتاب الرحلة.

2.2 رحلة الشيخ أبي زكريا الشاوي يحي النائلي:

1.2.2 نسبه وميلاده:

هو أبو زكريا يحي بن الفقيه مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى النائلي المليانى (المحبي، دس، ص533) الشهير بالشاوي لقبا لا نسبا، وقد سمي بـ" الشاوي يحي " تبركا بأحد الشيوخ الصالحين الذين استضافتهم الأسرة ليلة مولده (الجيلالي،

1980، ص173)، والنائلي نسبة إلى قبيلة أولاد نائل، وتشير المصادر التاريخية إلى أنه ولد بمليانة في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، وهناك إجماع على أنه ولد سنة 1030هـ/1619م، حيث نجد أن يحي الشاوي قد تتلمذ في تلمسان على يد المقري سعيد المتوفي سنة (1019هـ أو 1025هـ) على اختلاف الروايات (ربوح، 2018، ص297)، ولذلك فمن الراجح أنه ولد قبل تاريخ 1030هـ بسنوات عدة.

2.2.2 عوامل نبوغه:

تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه بمليانة في الكتاتيب؛ فحفظ القرآن الكريم وهو في الثامنة من عمره، ثم أخذ عن والده الفقيه أبي عبد الله مُحَمَّد النايلي بعض المتون في الفقه واللغة العربية، ثم انتقل إلى زاويتي أبهلول المجاجي قرب تنس، وتلقى فيها عدة علوم، كالتفسير، والحديث، والنحو، وعلم الكلام والمنطق على يد الشيخ مُحَمَّد أبهلول شيخ الزاوية، وابنه مُحَمَّد السعدي بن مُحَمَّد أبهلول، وقد حاز على إجازتهما في الموطأ، وصحيحي البخاري ومسلم (سعد الله، 2011، ص44). كما تذكر المصادر بأنه حفظ في صغره ثمانية وأربعين تأليفا، وعشرات الشروح الفقهية، وكانت حافظته مما يقضي منها العجب (المحبي، دس، ص484)، ثم انتقل إلى تلمسان وأخذ مختلف العلوم على يد علمائها وأبرزهم سعيد المقري، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر، وقرأ على شيوخها وأجازوه؛ أمثال الشيخ مُحَمَّد سعيد قدورة مفتي الجزائر (ت 1066هـ)، والشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري (ت 1057هـ)، وعيسى الثعالبي وغيرهم، كما روى عنهم الفقه والحديث والنحو والمنطق (سعد الله، 2011، ص102)، وكلها عوامل ساهمت في بروز شخصية يحي الشاوي فيما بعد.

3.2.2 وفاته:

ذكر المحب قصة وفاته أنه توفي على ظهر السفينة أثناء توجهه لأداء فريضة الحج عبر البحر الأحمر في شهر ربيع الأول سنة 1096هـ، كما تذكر المصادر أن الملاحين أرادوا إلقاءه في البحر لبعد البر عنهم لكن هبت ريح شديدة فكسرت شراع السفينة فأجبروا على الخروج إلى البر وإصلاحه بمكان يسمى "رأس أبي مُحَمَّد"، وهناك دفن الشيخ الشاوي يحي ، وبعد وصول الخبر إلى ابنه عيسى انتقل إلى هناك ونقل جثمانه إلى مقبرة القرافة الكبرى بتربة السادة المالكية بمصر (المحبي، دس، ص290).

4.2.2 مؤلفاته ومصنّفاته:

ترك الشيخ أبو زكرياء الشاوي يحيى النائلي العديد من المؤلفات والمصنفات؛ منها مخطوط "لامية في إعراب اسم الجلالة" حيث جمع فيه أقوال النحاة وشرحها شرحا حسنا، وسماها "الدر النضيد في إعراب كلمة التوحيد" (مخلوف، 2003، ص458)، وكذا "حاشية على شرح أم البراهين العقيدة الصغرى" للشيخ مُحَمَّد السنوسي في عشرين كراسا (سعد الله، 2011، ص114)، وكذلك كتاب "المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري في التفسير اللغوي والبلاغي" (البغدادي، 1955، ص533)، وكتاب "النبل الرقيق في حلقوم الساب الزنديق" (ردود ومطارحات) (البغدادي، 1955، ص533)، وكتاب "فتح المنان في الأجوبة الثمان" (الشاوي، 2015، ص284)، بالإضافة إلى حاشية على شرح المرادي سماها "توضيح مقاصد الألفية"، و"شرح التسهيل لابن مالك" في النحو، و"التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية"، ورسالة في أصول النحو سماها "ارتقاء الزيادة لحضرة شاه زادة"، وألفه باسم السلطان مُحَمَّد بن

السلطان إبراهيم خان العثماني (المحبي، دس، ص290)، ويبدو أن قلمه كان سيالا وقريحته جوادة في علوم شتى، ونحسبه من علماء الجزائر النوابغ في تلك الفترة.

3.2 المحتوى العام لرحلة أبي زكرياء يحي الشاوي النائلي:

بدأت رحلة الشيخ يحي الشاوي النائلي في طلب العلم منذ انتقاله من مسقط رأسه بمليانة باتجاه زاوية أبهلول المجاجي –قرب تنس– والتي اشتهرت بعلمها وعلمائها، وكان الطلاب يقصدونها للقراءة الثانوية (الشاوي، 2015، ص285)، أين أخذ العلوم على يد مشايخها الذين أجازوه بإجازتين من طرف الشيخ مُحَمَّد أبهلول (سعد الله، 2011، ص44)، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر، وأخذ العلوم على مشايخها؛ وأبرزهم: أبو مُحَمَّد سعيد قدورة، الذي أخذ عنه علم الفقه والحديث (المحبي، دس، ص486)، وبعدما ظهر لهم من قدراته العلمية، وشهدوا له بالبراعة في التفسير والحديث رواية ودراية، وبعدما قدّموه للتدريس (القادري، 1982، ص267). كما ترجّح فرضية تنقله للشرق الجزائري (قسنطينة وعنابة وبجاية) من أجل أخذ العلم عن علمائها؛ وأبرزهم في تلك المرحلة: شيخها الفكون (سعد الله، 2011، ص109). ومن شدة حبه للإسناد العالي وشغفه بطلب العلم جعله يغادر الجزائر، فكثرت رحلاته؛ فزار مصر والحجاز وبغداد، عاصمة الخلافة العثمانية إسطنبول، وغيرها من البلدان (العياشي، 1996، ص135)، وقد تعددت دوافع وأسباب هجرة شيخنا يحي الشاوي النائلي؛ فمنها الدينية، وهي أداء فريضة الحج، والدراسية من أجل الاحتكاك بالمشايخ، وأخذ العلم عنهم، ومنها بعض العوامل السياسية؛ خاصة الأوضاع التي عرفتها الجزائر في هذه المرحلة "مرحلة الآغاوات" منها كثرة الاضطرابات والثورات (البوني، 2001، ص36)، وقد شدّ الرحال سنة 1077هـ/1663م إلى المشرق العربي –كما ذكرنا سالفا– قاصدا بيت الله الحرام؛ فأدى الفريضة، وبعد عودته استقر بمصر بهدف الدراسة، والأخذ عن شيوخها وعلمائها، وقد طاب له المقام فاستقر بها معلما ومدرسا (الكتاني، 1982، ص134)، وهي كنانة الله في الأرض كما قال رسول الله ﷺ.

كما ذكر لنا الأسباب التي أدت به إلى الهجرة والترحال، وكذا حيازته على تقدير العلماء وأصحاب السلطان بالمشرق خاصة بدار الخلافة "القسطنطينية" (المحبي، دس، ص487). وكذلك تولى العديد من الوظائف خاصة بمصر كقضاء المالكية، وإمارة ركب الحج المغربي لمرتين (العياشي، 1996، ص368). كما تذكر المصادر أنه زار بلاد الشام في طريقه لمقر الباب العالي، وأبرزها: الزيارة الثانية 1089هـ/1678م، وكان له مجلس علمي مهيب بالجامع الأموي؛ أين التقى بعلماء دمشق وشهدوا له بالفضل التام (المنجد، 1960، ص91)، ومدحه شعراؤها، واستجاز منه نبلاؤها، وكانت له العديد من المناظرات مع علمائها، والتي أظهر من خلالها سمو فكره وقدرته الفائقة على المحاججة والاقناع (مقديش، 1988، ص381). ثم عاد إلى مصر واستقر بها، وتولى مهمة التعليم والتدريس بها إلى غاية سنة 1096هـ أين اتجه لأداء فريضة الحج عبر البحر الأحمر، وتوفي على ظهر السفينة في شهر ربيع الأول من نفس السنة (الكتاني، 1982، ص134) يظهر لنا أن حياة يحي الشاوي كانت حافلة بمحطات علمية كبيرة ومواقف دراسية عظيمة نستجلها من خلال رحلته.

3. إسهامات علماء الجزائر من خلال الرحلات في الفترة العثمانية:

يعتبر المشرق العربي مقصد كل علماء المغرب الإسلامي عموما، وعلماء الجزائر خصوصا، وذلك لوجود مركز الخلافة والمقدسات الإسلامية، والعديد من الحواضر العلمية الكبرى؛ كالجامع الأزهر والحرمين الشريفين والجامع الأموي، لذلك قصده العلماء من أجل أداء مناسك فريضة الحج أو الاعتمار أو لطلب العلم، ولذلك تعددت الدوافع وعوامل ارتحالهم، فأفادوا واستفادوا وأجازوا واستجازوا، ومن مظاهر وأشكال مساهمتهم نذكر: الإجازة والتدريس وتبادل المصنفات كنماذج.

1.3 الإجازة:

عرّفها المفكرون بأنها إبداع عربي إسلامي تقوم على إذن يقدمه الشيخ أو العالم لطالب العلم، بأن يسمح له بالتدريس أو الرواية عن الشيخ (سعد الله، 2011، ص49)، وبناء على هذا التعريف تكون الإجازة إذن ورخصة تتضمن المادة العلمية التي صدرت من الشيخ إلى من أباح له روايتها (فياض، 1967، ص21)، ومن أهم العلماء الجزائريين الذين لعبوا دورا بارزا في هذا المجال نذكر:

• إجازة الشيخ أبي العباس أحمد المقري للعديد من العلماء وطلبة العلم بالمشرق؛ وخاصة بالجامع الأزهر بمصر، ومن بينهم إجازته للشيخ أحمد القاضي شهاب الدين العجمي لمرتين (المقري، 2004، ص82)، وإجازته للشيخ مُحَمَّد بن نور الدين الرشيدي لمرتين (لزغم، 2009، ص281)، وكذا إجازته للشيخ نور الدين علي بن زين العابدين الأجهوري (المقري، 2004، ص83)، وربما هناك إجازات أخرى لم يتم ذكرها.

• إجازة الشيخ أبي زكريا الشاوي يحي النائلي لعلماء وطلبة العلم بالشام؛ مثل إجازة الشيخ بن مُحَمَّد بن تاج الدين الرملي (المحبي، دس، ص412)، وإجازته للشيخ مُحَمَّد بن زيد الكفيري (سعد الله، 2011، ص48)، وكذا إجازته للشيخ سليمان المحاسني في طريقه لإسطنبول (المنجد، 1960، ص91)، وهذا ما هو في حدود اطلاعنا.

• كما تحصل العديد من علماء الجزائر على الإجازات بكل أنواعها، وأبرزها إجازات علماء المشرق للحسين الورثيلاني، والتي ذكرها لنا في رحلته المشهورة "الرحلة الورثيلانية" كإجازة الشيخ علي الصعيدي له بالجامع الأزهر (الورثيلاني، 1908، ص286)، وكذا إجازته من الشيخ أحمد بن عبد الفتاح الملوي (لزغم، 2009، ص339)، وإجازته أيضا من الشيخ علي الفيومي بمصر (الورثيلاني، 1908، ص288).

2.3 التدريس:

من بين العلماء الجزائريين الذين مارسوا مهام التدريس في الحواضر الإسلامية الكبرى مغربا ومشرقا خلال الفترة العثمانية؛ خاصة ما بين القرنين 17م و18م، والذين أثبتوا كفاءتهم العلمية ونبوغهم الفكري وفرضوا أنفسهم أمثال: أحمد المقري ويحي الشاوي، فجعلوا منه أداة لنشر معارفهم وعلومهم المختلفة، فتوافد عليهم طلبة العلم وحضر مجالسهم أشهر العلماء؛ فكانت لهم حلقات علمية متنوعة، ومجالس ثابتة؛ خاصة بالجامع الأزهر وأروقته الأربعة، ومن بينها رواق

المغاربة*، وكذا بالجامع الأموي بدمشق، وبالمسجدين الشريفين " المسجد الحرام، والمسجد النبوي بالمدينة المنورة"، ومن هؤلاء نذكر:

• ممارسة كل من أبي العباس أحمد المقري، وأبي زكريا الشاوي يحيى النائلي لمهام التدريس خلال القرن 17م بالجامع الأزهر، وذلك بعد عودتهما من أداء فريضة الحج، وقد قدما دروسا شملت علوما متعددة عكست غزارة المعارف التي امتازا بها؛ ومنها: علم العقائد وعلم الحديث، وعلم الفقه؛ خاصة على مختصر خليل، وقد نقل لنا الكتاني عبد الحي قول عبد الباقي الحنبلي: " دخلت مصر سنة 1028هـ/ 1619م فوجدته في صحن الجامع الأزهر يقرأ العقائد في أهل المغرب، وله مجلس عظيم" وهو يقصد هنا الشيخ أحمد المقري (الكتاني، 1982، ص574)، كما ذكر لنا مقديش محمود في كتابه "نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار" بأن أبا زكريا الشاوي يحيى النائلي قدم دروسا ومناظرات بالجامع الأموي بدمشق، والتي أظهر من خلالها سمو فكره وقدرته على المحاججة والإقناع (مقديش، 1988، ص381)، وكذلك نجد أبو العباس أحمد الجزائري صاحب كتاب "نحلة اللبيب في إخبار الرحلة إلى الحبيب مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم" الذي قرأ على طلبته علوما مختلفة في رواق المغاربة وبمدرسة القنقباني (مبارك، 1887، ص19).

• كما درس أحمد المقري أيضا بالمسجد الحرام أثناء أدائه لفريضة الحج إلى جانب الشيخ عيسى الثعالبي؛ حيث ذكر لنا المحبي بأن عيسى الثعالبي بعد هجرته إلى المشرق العربي اشتغل بالتدريس في المسجد الحرام، وكذلك قدم دروسا بالمسجد النبوي أين اجتمع له الناس واستمعوا لأسانيده (المحبي، دس، ص242)، ومن بين تلك الدروس "معجم الطبراني الصغير"، وكتاب "الشمائل المحمدية والخصال المصطفوية"، كما ذكر لنا العياشي بأنه درس بالروضة الشريفة "الصحاح والغرائب"، وهي عبارة عن عشرين جزءا، وكان يسمع الحاضرين كل يوم جزءا منها (العياشي، 1996، ص197).

3.3 تبادل المصنفات والمؤلفات:

قام علماء الجزائر خلال القرن 11 هـ /17م بنقل الكتب خلال رحلاتهم من الجزائر إلى المغرب والمشرق، وذلك للرجوع إليها أو لمطالعتها أو لإهدائها للمشايخ أو لتوقيفها في الخزانات العامة بالجامع الأزهر والجامع الأموي وكذا بمكتبات المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومن بين المؤلفات التي أعجب بها علماء الجزائر بالمشرق عامة والجامع الأزهر خاصة كتاب الوزير القاضي جمال الدين والمسمى بـ"بدائع البداية"، حيث قال فيه أحمد المقري بأنه لم ير في كتب الأدب في فئته من هو أحسن منه (المقري، رسائل المقري، 2008، ص134).

كما شكل لنا تبادل الكتب والمصنفات بين علماء الجزائر وعلماء البلدان العربية أبرز سمات التواصل الثقافي، خاصة مع علماء مصر، ومن بين تلك الكتب نذكر "مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه المالكي" لأبي عمرو عثمان ابن الحاجب، وهو أول من جمع فقه المالكية في مصر وبلاد المغرب، وكذا "مختصر خليل" للشيخ خليل إسحاق بن

* رواق المغاربة: يقع في الجانب الغربي للجامع الأزهر تم تجديده سنة 1466م، وكانت به مكتبة كبيرة. أنظر: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، **المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517م – 1798م)**، تونس، الجزائر، المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 99.

موسى بن شعيب المالكي المصري، وفي قواعد علم الأصول ألف بن مالك "ألفيته في النحو"، وكتاب "البردة" لشرف الدين البوصيري (قريزة، 2021-2022، ص ص216-217).

ومن بين المؤلفات الجزائرية التي احتلت مكانة كبيرة بين مواد التدريس في المعاهد والحواضر الكبرى بالبلدان العربية خلال الفترة العثمانية نجد: كتب الإمام مُحَمَّد بن يوسف السنوسي في العقائد، كتب عبد الرحمن الأخضري في المنطق والبلاغة والحساب والفلك وغيرها، كما ذكر الورثيلاني في رحلته أن الشيخ العفيف نظم عقائد الشيخ السنوسي (الورثيلاني، 1908، ص294)، وكذلك نلاحظ كثرة الشروح والحواشي للكتاب الواحد فمثلا: كتاب "مختصر خليل" كان له أكثر من 150 شرحا وحاشية (خليفة، 1999، ص1233).

ومن أهم المصنفات والمؤلفات التي أثرى بها علماء الجزائر مكتبة المسجد الحرام ومكتبة المسجد النبوي خلال القرن 18م نذكر: كتب الشيخ أحمد بن عمار (ت 1206هـ/1791م)، وأهمها "رحلته الحجازية" و"لواء النصر في علماء مصر" (سعد الله، 2011، ص231)، ومن دون شك هناك مصنفات وكتب أخرى كانت محل تبادل وإهداء.

كتب الشيخ أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت 1199هـ/ 1785م) منها: "حاشية على السلم للأخضري"، و"حاشية على رسالة مُحَمَّد أفندي الكرماني" في علم الكلام، و"شرح على ديباجة أم البراهين وكتاب خواطر سورة يس" (مخلوف، 2003، ص343)، وهذه نماذج ليس إلاّ، فمن المؤكد أنه هناك العديد من الكتب والمؤلفات التي كانت محل اهتمام العلماء هذا من زاوية، ومن زاوية أخرى هناك كتب تحتاج إلى البحث والتنقيب لمن أراد ذلك.

4. خاتمة:

وفي نهاية هذه الورقة البحثية توصلنا لمجموعة من النتائج والملاحظات، والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

• تعددت الرحلات الجزائرية؛ والتي تعتبر من أهم المصادر المحلية الأساسية في كتابة تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني، فمنها الرحلات الداخلية والرحلات الخارجية، والتي تعددت أسباب ودوافع تدوينها، ومما يلاحظ عليها أنها متداخلة ببعضها البعض مع اقتران لأداء فريضة الحج بطلب العلم.

• تعتبر كتب الرحالة الجزائريين في العهد العثماني من أهم المصادر المحلية التي ساعدت الباحثين والمؤرخين في كتابة تاريخ الجزائر، وهذا من خلال وصف الحياة الاجتماعية وذكر بعض العادات والتقاليد للمجتمع الجزائري بصفة خاصة، والمجتمع العربي بصفة عامة.

• تعد الرحلات الجزائرية إبان العهد العثماني ذات مدلول تاريخي كبير نظرا لما تكتنفه من جزئيات هامة في ذكر مسار الرحلة والمواقع الجغرافية من تضاريس لتلك البلدان، وكذا من وصف للجوانب السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية لمختلف المحطات المغاربية والمشرقية.

• ساهمت رحلات علماء الجزائر إلى المغرب والمشرق العربي في بعث وتنشيط عملية التواصل الثقافي بين الجزائر والبلدان العربية خلال العهد العثماني؛ خاصة في مجال تبادل الإجازات والتدريس وتبادل المصنفات والمؤلفات وإثراء المكتبات.

• ساهمت الرحلات الجزائرية في الفترة العثمانية في ذكر أهم العلوم والمعارف المنتشرة في البلدان العربية بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة؛ مع ذكر أهم العلماء والأدباء الذين ذاع صيتهم في العالم الإسلامي خلال تلك الحقبة.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن مريم التلمساني، (1908)، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، وقف عليه واعتنى به: مُحَمَّد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر.

2- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، (1979)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط" عبد السلام هارون ج2، ط2، دار الفكر، سوريا.

3- الأزهري مُحَمَّد البشير ظافر، (1324هـ)، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، مطبعة الملاجئ العباسية، بغداد.

4- البغدادي إسماعيل، (1955)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

5- البوني أحمد بن قاسم، (2001)، التعريف بيونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، تح: سعيد دحماني، دار الهدى، عين مليلة.

6- الجيلالي عبد الرحمن، (1980)، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الثقافة، بيروت.

7- حجي مُحَمَّد، (1964)، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط.

8- حسن مُحَمَّد عبد الغني، المقري صاحب نفح الطيب، الدار القومية للطباعة والنشر، دط، دس.

9- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، ج6، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، دس.

10- ربوح عبد القادر، (2018)، الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والمشرق العربي خلال القرن 11هـ / 17م، رحلة الشاوي يحيى المليانى أنموذجا، مج15، ع1، مجلة البحوث والدراسات، جامعة وادي سوف، الجزائر.

11- سعد الله أبو القاسم، (2011)، تاريخ الجزائر الثقافي (1500- 1830)، ج2، عالم المعرفة، الجزائر.

12- سعيدوني ناصر الدين، (1998)، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

13- الشاوي يحيى، (2015)، فتح المنان في الأجوبة الثمان، تح: سعد محمد عبد الرزاق أبو نور، مج18، ع4، بحث منشور في مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

14- الشوايكة نوال عبد الرحمن، (2007)، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان.

15- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، (1982)، المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517م – 1798م)، تونس، الجزائر، المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

16- العياشي عبد الله، (1996)، ماء الموائد (الرحلة ليبيا – طرابلس وبرقة)، تح: سعد زغلول عبد الحميد وآخرون، ج2، دار المعارف، الإسكندرية.

17- الغزالي أبو حامد، (2005)، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، لبنان.

18- غويني ليلى، (2009)، الرحلات الحجازية الجزائرية النثرية في العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، مج10، ع1، جامعة الجزائر.

19- فياض عبد الله، (1967)، الإجازات العلمية عند المسلمين، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد.

20- القادري محمد بن الطيب، (1982)، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: حجي محمد وأحمد التوفيق، ج2، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، الرباط.

21- قريزة ربيعة، (2021 / 2022)، التواصل الثقافي والروحي بين الجزائر والمشرق العربي (مصر –الحجاز) في أواخر القرن 18م وأوائل القرن 19م، دراسة من خلال المصادر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة غرداية، الجزائر.

22- الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، (1982)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء: إحسان عباس ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

23- لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر الثمانية، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009.

24- مبارك سعادة علي باشا، (1887)، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر، ج4، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.

25- المحبي محمد أمين بن فضل الله بن محمد الحموي، خلاصة الأثر في القرن الحادي عشر، ج1، دط، دس.

26- مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، (2003)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت.

27- مقديش محمود، (1988)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواوي، مُحَمَّد محفوظ، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

28- المقري أحمد بن مُحَمَّد، (1939)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

29- المقري أحمد بن مُحَمَّد، (2004)، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تح: مُحَمَّد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

30- المقري أحمد بن مُحَمَّد، (2008)، رسائل المقري، تح: أسماء القاسمي الحسيني، دار الخليل القاسمي، الجزائر.

31- المقري أحمد بن مُحَمَّد، (2008)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج: 1، ط 1، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر.

32- المنجد صلاح الدين، (1960)، صفحات من تاريخ دمشق في القرن الحادي عشر، مجلة المخطوطات العربية، مج6، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

33- نويهض عادل، (2015)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر.